

رمضان شهر الرحمة والتسامح

لا شك أن ديننا هو دين الرحمة ، دين التسامح ، دين العفو ، دين الصفح ، دين الحلم ، دين مكارم الأخلاق ، وقد علمنا القرآن الكريم ودعانا إلى أن نصفح الصفح الجميل ، فقال سبحانه مخاطبًا نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ " (الحجر : ٨٥) ، وهو الصفح الذي لا من ولا عتاب ولا تأنيب معه.

ويقول (عز وجل) : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (الأعراف : ١٩٩) ، ويقول سبحانه : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا " (الفرقان : ٦٣) ، ويقول سبحانه : " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (النور : ٢٢) ، وفي الحديث النبوي الشريف : " أَنْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " (صحيح البخاري).

وقد كان من عاداتنا وأعرافنا الجميلة أنه إذا جاء رمضان تصالح المتخاصمون ، وتزاور الناس وتواصلوا ، وأدركوا بل أيقنوا أنه لا مجال للخصام أو الشقاق في هذا الشهر الكريم ، وإذا كان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يقول : " لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمُ الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ " (متفق عليه). فإن الناس يدركون أن صيامهم لا يمكن أن يكون تامًا كاملاً مع وجود الشحناء أو البغضاء فيما بينهم ، ومن ثمة كانوا بفطرتهم يحرصون كل الحرص على إنهاء أي خصومات أو شحناء قبل رمضان ، وقبل السفر إلى الحج ، ويعدون ذلك من لوازم القبول ، ولم يكن الأمر يقف عند هذا الحد ، إنما كان يتجاوزه إلى التزاور والتزاور المتبادل في ساحات كرم ومآدب إفطار وسحور هذا الشهر في أجواء عائلية وإنسانية ، لا تهدف إلا إلى

تعميق أواصر الرحمة والمودة بين الأهل والجيران والأصدقاء في أريحية مصرية تستحق التشجيع والتقدير .

رمضان شهر اتساع الأخلاق والنفوس لا ضيقها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفُّ يَوْمِيذٌ وَلَا يَصْحَبُ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُكَلِّمْ : إِنْ أَمْرٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسٌ مَحْمَدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ " (متفق عليه) ، أي فليتحصن بصيامه وليحافظ عليه ، وألا ينساق إلى ما يتعرض له من استفزاز ، فالصائم الحق هو الذي يملك نفسه عند الغضب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " (صحيح البخاري) ، فما نراه من تصرفات عنف شاذة إنما هو غريب على ديننا وثقافتنا وهويتنا الحضارية ، ويزداد الأمر استنكارًا إذا وقع هذا العنف في هذا الشهر الفضيل ، ويكون الاستنكار أشد حدة إذا كان من إنسان محسوب شكلا على الصائمين والقائمين ، إذ لا ينبغي أن نفهم الصيام أو نقصره على مجرد الامتناع عن الطعام والشراب ، إنما هو تهذيب للطباع ، وترقيق للمشاعر ، وتقويم للسلوك المعرفي ، وتدريب على قوة التحمل ، وصولا إلى تحقيق أعلى الأهداف ، وهو تحقيق التقوى والمراقبة التامين ، حيث يقول سبحانه وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة : ١٨٣) .

وعلى الجملة فقد دعا الإسلام إلى السباحة ، واليسر ، والتيسير ، والرحمة ، والرفق ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى " (صحيح البخاري) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا " (مسند أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْرَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم)

: "اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتُقُّ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا
فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ" (صحيح مسلم).

فما أحوجنا في هذا الشهر الكريم إلى مراجعة النفس ، إلى التسامح والتصالح مع
أنفسنا ، مع أهلينا ، مع أزواجنا ، مع أبنائنا ، مع أشقائنا وشقيقاتنا ، مع أعمامنا وعماتنا ،
وبني أعمامنا ، وبني عماتنا ، وأخواننا وخالاتنا ، وبني أخواننا ، وبني خالاتنا ، وجيراننا ،
وأصدقائنا ، وزملائنا ، وسائر المتعاملين معنا ، لنفوز ونسعد في عاجلنا وآجلنا بإذن الله
تعالى .

* * *